

مجلَّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 11 (2011) : 178- 190
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

# مستويات الدين وأشكال التدين
## - محاولة تصنيفية-

فضيل حضري
قسم علم الاجتماع جامعة تلمسان

تمهيد:

لقد ظل "الدّين" بكل جوانبه مبحثا يثير انشغال الباحثين والمفكرين منذ القديم، حيث عكفوا على محاولة تفسيره وفهم عناصره، وكشف بداياته ونشأته، ورصد أبعاده وحدوده. وبالرغم من أن المجتمعات الحديثة قد وقفت من الدين مواقف شتى، إلا أن بقاءه ودوامه على هرم القضايا الهامة والمسائل البارزة المطروحة في كل المجالات السياسية منها والعلمية والاقتصادية...وغيرها، يُثبت مكانة الدين وأهميته في ماضي البشرية وحاضرها. إلا أنه ما إن ألف الجدل العلمي مبحث "الدّين" حتى ظهر إلى جانبه مفهوم من جنسه لم يقل عنه إثارة وانشغالا وهو مفهوم "التديّن". ولقد جاء هذا المفهوم كمحاولة فكرية سوسيولوجية لإنزال "الدّين" على أرض الواقع للتمكّن من فهمه وتحديده، فأصبح كلا من المفهومين لصيق بالآخر. وعلى هذا الأساس تأتي هذه المحاولة لإعادة عرض هذين المفهومين من خلال نموذج تصنيفي مبني على أساس حضورهما داخل المجتمع.

### 1- في معنى الدين و مستوياته:

### 1-1- حول معنى الدين:

لقد قدّمت ولا تزال لنا الدراسات والبحوث المهتمة بالدّين، العديد من الآراء والتصوّرات والاقتراحات حول تعريف الدّين وتحديد ماهيته، إلا أن تعدُّد مظاهر الدّين وأشكاله على مدار التاريخ وعلى عموم المجتمعات، هو الذي يبرّر هذا الاختلاف والتعدّدَ في الطروحات. وللحد من هذه الفوضى والتقليص من هذا الخلط، ينبغي علينا أن نعيد ترتيب هذا المنتوج من خلال نبش كل جوانبه واستخراج كافة عناصره وأجزائه.

إن مما أثار انتباهي ضمن الأدبيات المنشغلة بمبحث الدين، هو المنحى الذي أخذته هذه الدراسات والأبحاث فيما يتعلق بالأصل اللغوي لكلمة "الدّين".ومن أجل ذلك ارتأيت أن أبدأ من الوقوف عند المعنى المتداول لكلمة الدين. فوجدت أنه قد طغت على عموم محاولات تحديد معنى الدين الصبغة الغربية. فلمّا كانت كلمة **Religion** في الفرنسية تقابل لفظة "الدّين" في العربية. أرجعت معظم الدراسات اشتقاق هذه الكلمة إلى المصدر اللاتيني، وكأن لا وجود لهذه اللفظة إلا في الحضن اللاتيني. وأغلب ما تُحيل إليه هذه البحوث والدراسات هو ما ذهب إليه دي لاجراسي **De La Grasserie** الذي جعل كلمة **Religion** مشتقة من الفعل اللاتيني **Religare** أي **Relier** والتي تعني في العربية ربط أو أوثق، أو ماذهب إليه روجيه باستيد **R.Bastide** وغيره من اعتبار كلمة **Religion** ترجع أصلا إلى الفعل اللاتيني **Religere** بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام[1]. بالإضافة إلى آراء أخرى في نفس الاتجاه.

أما كلمة "الدّين" حسب معاجم اللغة العربية فدلالاتها محتشمة تُؤخذ تارة من فعل مُتعد باللام" دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء "دان به"، وتارة أخرى من فعل متعد بنفسه "دانه". فأما دان له فتعني الخضوع والانقياد والاستسلام لطرف ما، وأما دان به أي اعتقده أو آمن به، وأما دانه فتعني ملكه وحكمه. إلا أن هذا الاشتقاق الذي تسوقه الكثير من المعاجم حول لفظة الدين لا يشفي ظمأ الباحث، ولا يحيل إلى صريح معنى الدين.

غير أننا نجد في اللغة العربية أن هناك لفظا هو أكثر شبها بلفظة "الدِّين" بكسر الدال وهو لفظة "الدَيْن" **Dette** بفتح الدال. فالدَيْن علاقة بين طرفين أحدهما "الدائن" وهو صاحب العطاء والمالك للحاجة. والآخر هو "المدين" وهو السائل والطالب للحاجة. ولمّا كانت حاجة المدين في يد الدائن كان وجوب الخضوع والانقياد بدءا ووجوب الالتزام والوفاء انتهاء من طرف المدين. كما أن هذه المداينة تقوم بإنشاء رابطة بين هذين الطرفين. أما "الدِّين" كما أشارت إليه الاشتقاقات اللغوية السابقة فهو العلاقة التي تربط الناس أفرادا أو جماعات بقوة أخرى. ومنها قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مالك يوم الدين﴾ (سورة الفاتحة، الآية 03). أي يوم المحاسبة، وهو بذلك "الديان". ومن هنا كان عمق ملامح التشابه بين لفظة "الدِّين" ولفظة "الدَّيْن" المجاوزة لملامح التشابه الحرفي.

وهناك دليل آخر تُثبته النصوص الإسلامية التأسيسية، وهو أن محور عملية المداينة

**هو وجود شيء بين الدائن والمدين، وهذا الشيء مادام لم يُوَفَّ من المدين إلى صاحبه الدائن فهو "أمانة" حتى تعود إلى صاحبها. ومن ثم جاء القرآن بهذه اللفظة في الآية ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، الآية 72). وتشير كتب التفاسير بالرغم من الاختلاف البسيط فيها حول المراد من كلمة "الأمانة"، إلى أنها في مجملها تعني "الفرائض والعبادات". وهي مظهر الالتزام "بالدِّين".**

**ولقد وجدتُ عبد الله دراز قد وقف عند هذه المقارنة وتنبّه إلى عمق الصلة بين هذين اللفظين مُوضّحا ومُضيفا أن الدَيْن (بفتح الدال) يتضمن إلزاما ماليا، والدِين (بالكسر) يتضمن إلزاما أدبيا، وأنّ من سُنن اللغة العربية في تصاريفها أنها حين تفرق بين الحسّيات والمعنويات من جنس واحد قد تكتفي بتغيير يَسير في شكل الكلمة مع إبقاء مادتها. كما هي في: الخَلْق والخُلُق. الرؤية والرؤيا. الكبْر والكبَر...وغيرها. لتبرز بذلك أن مادة "دين" بكل معانيها أصيلة في اللغة العربية، فلا هي دخيلة ولا هي معرّبة.[2]**

**ولعل من أبرز ما أشارت إليه الكتابات الغربية في هذا المجال هو استعمال مارسال غوشيه لمفهوم "دَيْنُ المَعْنى" الذي يُعبّر به عن حالة البشرية التي تَدينُ بِمعْنى وجودِها لطرف غيرها[3]. ولكن من الأمور التي لا تزال تساهم شيئا ما في فوضى هذه المحاولات وهلامية هذه التعاريف خصوصا في أدبياتنا، هو اشتمال اللغة العربية في ثرائها على لفظتين مقابلتين للفظة Religion، وهما "الدّين" و"الدّيانة". ولم أجد في حدود اطلاعي من الباحثين من ميّز بينهما في استعماله وكتاباته.!!**

## 1-2- حول مستويات الدين:

**للدين – من خلال ما هو كائن – مستويات في حياة الأفراد والمجتمعات، وأن مردّ الاختلاف الكائن بين المحاولات المتعددة في تعريف الدين يرجع في تصوري إلى عدم حصر هذه المستويات التي لم ولن يخرج الدين عن إطارها، فهي قد عرفتها البشرية أفرادا وجماعات إما كاملة أو ناقصة ولكنها لم تكن منعدمة تماما. وهذه المستويات هي:**

**أ– مستوى الشعور: إن الشعور بالارتباط الديني هو أول مراتب الدين لدى الأفراد والجماعات (الشعور الفردي والشعور الجمعي). وهو مستوى قائم في نطاق الأحاسيس والعواطف والوجدان لِيُقرّ بِتهيُّؤ الإنسان لاستقبال الطبع الديني. وحين نلتفت إلى ما كُتب**

**حول مصادر الدين لدى الإنسان ندرك حقيقة هذا المستوى من خلال وجود مصدر "الخوف". والخوف كظاهرة غريزية تمثل لُبّ الامتداد الديني داخل النفس البشرية. ولقد كتب ماكس نوردو M.Nourdau عن الشعور الديني قائلا:" هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتدين، كما يجده أعلى الناس تفكيرا، واعظمهم حدسا وستبقى الديانات مابقيت الإنسانية..." [4]**

**ولقد وقف العديد من العلماء والباحثين في تعريفهم للدين على هذا المستوى القاعدي من أمثال م. رافيل M.Reville وماكس موللر M.Muller إلى ف.شلرماخر F.Schleirmacher ورودولف أوتو R.Otto.[5]، ولمثل ذلك ذهب هربرت سبنسر H.Spencer.[6]**

**كما صرّح أيضا العديد من العلماء والباحثين عن حقيقة هذا الشعور وثباته في تجاربهم الخاصة أثناء تعاملهم أو مواجهتهم لمواقف دينية، ومن بين هؤلاء مثلا نجد توكفيل A. de Tocqueville الذي يعترف قائلا "إنّني لست مؤمنا، لكن أيّا كان الإيمان الذي أشعر به، إلاّ أنني لم أستطع مُطلقا أن أحمي نفسي من شعور عميق عند قراءة الإنجيل"[7]. كما يعتبر "ج.زيمل G.Simmel" الدين إيقاعا للنبض الداخلي للإنسان، وهو يرى بشكل جاد جدا وجود الشعور الديني الذي لايمكن حسبَه أن يختفي أو أن يأفل، مع تأكيده على الدور الفعال لهذه المشاعر الدينية في حركية المجتمعات وديناميكيتها[8].**

**وهكذا كتب الكثيرون ممن لا يُمكن عدّهم أو حصرهم عن هذا الخضوع الوجداني للأفراد والجماعات نحو ما يُوصف بالدّين. ومن ثمة فمستوى الشعور هو المستوى القاعدي الذي لايمكن للإنسان أن يكتمه أو يداريه أو ينفيه، لأنه يتّصف بالجبرية والحتمية التي لاتقاوَم. ولذلك كان هذا المستوى هو مدخل المنتقدين للفكر الإلحادي والقائلين به. فها هو أحد هؤلاء المنتقدين "مارسيا إلياد M.Eliade" يعلن قائلا: "يمكن القول تقريبا إنه، عند أولئك المحدَثين الذين أعلنوا أنفسهم لامُتديّنين، كانت الديانة والميثولوجيا "خَفيّتين" في ظلمات لاشعورهم".[9]**

**ولقد كرّر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين عبارة "استفت قلبك" فيما يتعلق بالأحكام والتشريعات الدينية الإسلامية، وهي الدالة على وجود الترابط والاتصال والتجانس بين القاعدة الشعورية والمستوى السلوكي لدى كل فرد. ويجمع كانط E.Kant**

أصحاب هذا المستوى الشعوري للدين في مقولته: "إنه لاينبغي البحث عن الدين خارجا عنا، بل في داخلنا".[10]

ب– مستوى الاعتقاد: يُعد الاعتقاد المستوى الثاني لمستويات الدين لدى الأفراد. وهو المستوى المتعلق بالقناعات الفكرية الواضحة والمباشرة. وهي ماقد يُعبّر عنه الإنسان ويُصرح به في أقواله، وهو أيضا ما يمكن أن يحجبه أو يعكسه حسب رغبته أو حالته. إلا أنّه يُعد أوّل أشكال التعبير عن البعد الديني لدى الفرد. كما يدلّ هذا المستوى على الموقف الشخصي المبنيّ إمّا عن التقليد والمحاكاة وإما عن الفهم والتفكّر والإقتناع. والاعتقاد مستوى نسبي متغيّر وغير ثابت بالضرورة، فالفرد قد يصبح معتقدا في شيء ويمسي معتقدا في غيره.

ومن بين العلماء والباحثين الذين وقفوا عند هذا المستوى في تحديد معنى الدّين ميشيل مايير **M.Mayer** في كتابه "تعاليم خلقية ودينية"[11].

بل قد يُمثل مستوى الاعتقاد لدى البعض محور الدين ولُبّه، وهو العنصر الأسمى الذي يُبرز إنسانية العنصر البشري في علاقته مع الدين. لأنه يعتمد على العقل والتأمل والتدبر والتفكر مما يتميز به الإنسان على غيره، ويجعله واعيا بقراراته وسلوكاته.

ج– مستوى الممارسة: وهو المستوى العملي والفعلي (التطبيقي) للأفكار المعتقد بها والأحاسيس الشاعر بها. غير أن هذا المستوى أكثر من سابقه(الإعتقاد) نسبيّة وتغيّرا. لأن هناك العديد من الناس من يقف عند حدود المستويين السابقين، ولذلك تطلق غالبا في الكثير من المجتمعات عبارة "المتدينين الممارسين **Les Pratiquants** والمتدينين غير الممارسين **Les Non Pratiquants**". ولقد كان هذا المستوى هو الآخر محور العديد من التعريفات وجوهرها في تحديد ماهية الدين. وهو ما نلاحظه عند: "شاتل **Chatel**" في كتابه قانون الإنسانية، و"اميل برنوف **E.Bunauf**" في كتابه علم الديانات، و"ريفل **Revel**"في كتابه مقدمة تاريخ الأديان.[12]

كما أنّ الدين لا يمكن أن يُشكل ظاهرة اجتماعية إلا عندما ينتقل إلى مستوى الممارسة سواء الفردية منها أوالجماعية. وبما أن الدّين من خلال هذه المستويات قد لا يبرز كظاهرة اجتماعية حينما يكتفي أفراد المجتمع بالمستويين الشعوري والاعتقادي. فمظاهر الدين المتعددة تجعل إدماجه واعتباره ظاهرة اجتماعية صرفة هو مجازفة علمية.

فهو قد يكون ظاهرة نفسية حينما يكون في المستوى الأول ويكون ظاهرة فكرية فلسفية حينما يكون تصوّرا واعتقاد...إلخ.

ومستوى الممارسات هو الجزء المادي من الدين والمظهر الخارجي له، كما أنّ له من الأهمية ما يجعل أليكس دي توكفيل **de Tocqueville** يجزم قائلا:"إنني لا أتصور مطلقا أنه من الممكن الحفاظ على وجود الدين دون ممارسة خارجية" إلا أنّه لا يتفاءل بالإكثار منها، بل يدعو للحد منها والحفاظ على ما يعتبر ضروريا لاستمرار العقيدة ذاتها.[13]

كما يعرّف راد كليف براون **R.C.Brawn** الدين في هذا الإطار لينظر إليه على أنه التعبير بشكل أو آخر عن حالة الإحساس بالاعتماد والتبعية لقوى خارجه عن أنفسنا. ويرى من ذلك أن التعبير الأساسي عن هذا الإحساس هو الشعيرة [14]. وكذلك كانت هذه الممارسات والسلوكات معقل تعريف سانت جيمس **S.James** للدين والذي صرّح هو الآخر بضرورتها وأهميتها قائلا:" إن العقيدة التي لاتدور حولها أي شعائر أو طقوس تموت لأنها تكون وحيدة منعزلة، ومن ناحية أخرى فإن الشعائر والطقوس المجردة من كل اعتقاد ديني ، ليست من الدين في شيء".[15]

ومما لاشك فيه أن للشعائر والممارسات أهمية كبرى في فهم الدين، أما الممارسات فقد تكون شفوية كالتسبيح في الإسلام والتعميد في المسيحية وشعائر التلقين والأدعية..وغيرها. كما قد تكون جسدية كالاستحمام في مياه النهر المقدس عند الهنود والوضوء في الإسلام..وغيرها.[16]

وهناك من العلماء من جمع بين مستويين، كما فعل **Raville** بين المستوى الشعوري والمستوى السلوكي. وفعل جيمس فريزر **J.Frazer** بين المستوى الاعتقادي والمستوى السلوكي [17]، ومثلُ ذلك وصف به ج.ميلتون ينجر **J.M.Yenjer** الدّين بكونه نظام معتقدات وممارسات[18]، وكذلك دوركايم في تعريفه المشهور للدين[19]...وغيرهم.

وأمام تعدّد مستويات الدين واختلاف مفهومه بين الباحثين، مما أكّد لدينا مقولة كلمنت وب **C.C.Webb** بأن "الدّين لايمكن تعريفه"[20] . لايسعنا في أبحاثنا ودراساتنا إلا أن نأخذ بما نصح به جيمس فريزر **J.Frazer** قائلا بأن كل مايستطيع أن يقوم به الباحث في هذا المجال هو أن يحدد بدقة ما يعنيه بكلمة "الدّين"، ثم يعمل على استخدام هذه الكلمة عبر مؤلّفه بالمعنى الذي حدّده منذ البداية. لأنه لايوجد موضوع اختلفت فيه الآراء

**مثل موضوع الدين، ولذا يستحيل الوصول إلى معنى للدين يرضي الجميع.[21]**

## 2- في معنى التدين و أشكاله:

### 2-1- حول معنى التدين:

**إن التدين باعتبارها كلمة كثر النطق بها على ألسنة الناس في العقود الأخيرة ولم يكن هناك من تعامل معها في العصور السحيقة من صدر الإسلام، أو حتى ما بعد نشوء المعاجم اللغوية القديمة أو الحديثة منها في العصور الوسطى. كما أنّ كل من يُمعن النظر في المشهد الثقافي أو الفكري المعاصر يجد أن هذه المفردة لم تشَع على ألسنة الناس إلا في العقود المتأخرة، وبالتالي يمكن القول أنها حديثة الظهور في الفكر العربي، وليس لها رسوخ قديم في التعامل في أدبياتنا.**

**كما أن كلمة "تديّن" بمعناها المتداول اليوم لم تكن لفظاً مطروقًا في المعاجم اللغوية بهذا الشكل المألوف الآن، وعند رجوعنا إلى لسان العرب أو كتاب الصحاح للجوهري نلاحظ أن وزن التدين وهو "متفعل" يعني " كأنما يتفعل الشي" يتخذه أو يتحلى به أو يتكلفه، هذا هو المعنى في اللغة. فالدين هو ما يتديّن به الرجل. وتَديّن به (أي الدين) فهو ديّن ومُتديّن [22]. أما ما ورد في لسان العرب مثلا هو أن المرءَ حينما يتديّنُ يتخذ الدّينَ أو الإسلامَ ديانة له وهذا هو المعنى اللغوي العام ليس أكثر من ذلك، والتّدين هو أن تتخذ هذا الشيء ديناً لك[23].**

**وهذا يُرى بوضوح حتى في المعاجم الحديثة ككتاب محيط المحيط، وهو أوّل من رسم علاقة الدين بالتشدّد هو حينما قال "تشدد في أمره" "تديّن بالإسلام اتخذه دينا".[24] وهو أول من استخدم التّدين هو باعتباره التشدد وهو مقتضى وزن "تفعّل"، وهذا يرشد إلى شيء مهم جداً وهو أن أصل التدين ليس له نبع في صدر الإسلام من حيث التداول اللغوي أو المعرفي أو في النصوص الشرعية التأسيسية أو المأثورة.**

**أما القواميس الحديثة المتخصصة فهي الأخرى محتشمة في معظمها للتطرق إلى مفهوم التدين. ماعدا ما ذكره محمد عاطف غيث من أن التدين هو"الاهتمام بالأنشطة الدينية والمشاركة فيها..أو هو الإشارة إلى مجموع السلوك والاتجاهات التي يحكم عليها باعتبارها دينية في جماعة أو مجتمع" ثم يستدرك صعوبة وضع تعريف دقيق للتدين –**

لينطلق مما انتهى إليه جيمس فريزر في حديثه عن تعريف الدين– فيقول "إنه من العسير وضع تعريف عام للتدين طالما أن الأديان المختلفة تؤكد على سلوك متباين وقيم متنوعة. ولهذا يمكن تعريفه إجرائيا في حدود درجة مشاركة الفرد في الطقوس الدينية".[25]

وفي هذا الاتجاه يرى كلود ريفيار **Cl Rivière** في التديّن بصفته عبارة عن تعبيرات للخبرة الدينية بأن له في نفس الوقت عدة أشكال منها ماهو في شكل تعبيرات نظرية (اعتقادات، مذاهب، أساطير)، وتطبيقية (طقوس، احتفاليات، أفعال سحرية)، وسوسيولوجية (أنواع من الروابط الاجتماعية في وسط تنظيمات دينية)، وتعبيرات ثقافية (متغيرة حسب الأشكال اقتصادية المهيمنة: دين المحارب، المزارع، البائع)، وتعبيرات تاريخية ما دامت تؤدي إلى تحولات للحياة الدينية من خلال الحقب والفترات الزمنية.[26]

وبناء على ماسبق يمكن القول إجرائيا بأن التدين هو ممارسة الدّين وتحويله إلى تطبيق عملي، وهو تعبير عن الممارسة الإنسانية والتطبيق البشري للدين، والتدين ليس خاص فقط بالإسلام، بل هو شامل لجميع الديانات.

## 2-2- حول أشكال التّدين:

إن محاولة رصد أشكال التدين التي سوف أقوم بها الآن تستثني البعد الغائي في التّدين. لأن البعد الغائي مرتبط بالمقاصد والنيات التي لاتُعدّ من صلاحيات الباحث السوسيولوجي إلاّ ما كان من ملامحها على المستوى الظاهري. ولقد حاولت أن تكون كل هذه التمييزات لأشكال التديّن مرتبطة في طبيعتها بحسب أدائه وممارسته، وليس بحسب دوافعه وعوامله مثل "التدين الإضطراري....وغيره"، وليس بحسب أغراضه وأهدافه مثل "التدين العلاجي...وغيره". كما أن ما سآتي على عرضه هو أشكال للتديّن وليس أبعادا على غرار تلك التي ميّزها شارل إ.غلوك **C.Y.Glook** في خمسة هي: البعد التجريبي (الحياة الدينية، التجربة الدينية) البعد الشعائري (الأفعال، الممارسات)، البعد الإيديولوجي (العقائد)، البعد الفكري (المعرفة بالنصوص)، البعد النتائجي (المكاسب من الممارسات والسلوكات الدينية).[27]

- ✓ التدين المعرفي (اللفظي):

لاشك أن التعبير اللفظي هو أولى مستويات التديّن لدى الفرد. ويُعبّر الجانب "القولي" أو "الكلامي" على مستوى المعرفة لنصوص الدّين والفهم لقيمه وأحكامه، دون أن يكون هناك إلتزام سلوكي أو ممارساتي لدى هؤلاء الأفراد. وهو ما يُعبر عنه أفراد المجتمع بقولهم "يعرف ويخالف" أي أن هذا الفرد يعرف تعاليم الدين وأحكامه ولا يلتزم بها.

إن هذا التدين الذي يبقى على مستوى الخطاب، والذي يشير إليه الحديث النبوي الذي رواه البخاري في صحيحه من قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يجاوز إيمانهم حناجرهم"، وتعبّر عنه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾(سورة الشعراء، الآية 226). هو التديّن الذي يُوصَف أصحابه بالمتدينين غير الممارسين. وسواء كان هؤلاء الأفراد صادقين فيما يعبرون عنه أو غير صادقين، فإن ما يظهر لنا منهم في المجتمع أنهم يعرفون ويقرّون بحسن العمل ويتجنبون أكثره، ويقرّون بسَيء العمل ويأتون أكثره وهو ما نعتناه بالتديّن المعرفي أو اللفظي.

وفي هذا الصنف من المتدينين نجد فئة تبدو لمن دونها في المعرفة الدينية من عامة الناس أنها عالمةٌ بالدين، ولكنّ أفرادها لايعرفون من الدّين إلا "القشور والفتات". وبالرغم من ذلك فهم يتصدّرون حلقات العلم ويتقدّمون إلى الإفتاء دون تورّع، وهذه الحالة هي التي سمّاها فهمي هويدي بـ"التديّن المنقوص".[28]

- ✓ التدين الموسمي:

يعدّ التدين الموسمي من أبرز وأكثر أشكال التدين انتشارا خصوصا لدى الشباب، وهذا النمط يدل على حالة المدّ التديّني المرافق لأوقات وأزمنة معينة أصبح المجتمع يدركُها ويتوقع حدوثها. مثل "الأعياد، شهر رمضان، مواسم القحط والشدة...". بل إنّ المجتمع أصبح يسجل هذه الخرجات التديُّنية في مقولات وأمثال على غرار"صلاة القياد . الجمعة والاعياد "...وغيرها.

ولايدلّ التدين الموسمي بالضرورة على حالات التّلاعب أو التزييف لدى الأفراد والجماعات المتديّنين. فامتلاء المساجد في شهر رمضان مثلا لايخلو من الإشارة إلى ارتفاع وزيادة حالة الإلتزام الديني، وكذلك استقامة الناس والتزامهم في حالات الشدة

**والخوف لاتدل هي الأخرى بالضرورة على تصنّع أو تكلّف أونفاق. ونفس الشيء نلاحظه مع بداية موسم الامتحانات حيث ترتفع بورصة التديّن لدى طلبة المدارس والجامعات. ولا يبدو الأمر مستغربا في تعبّد الكثير منهم بالأدعية وتلاوة الأحاديث وقراءة القرآن، بإضافة إلى تأدية الصلوات في المساجد.**

**وممّا يجدر الإشارة إليه أيضا هنا، هو أن التديّن الموسمي هو تدين يجمع على خلاف غيره وفي كثير من الأحيان جوانب مُتعددة من الإلتزام مثل: جانب اللباس والمظهر، وجانب السلوكات والمعاملات بالإضافة إلى جانب الممارسات الطقوسية... وغيرها من المشاهد والمظاهر التي يُعبّر بها الكثيرون عن علاقتهم بالدّين.**

- **التدين الطقوسي (شعائري):**

**تنحصر مظاهر التديّن في هذا النمط ضمن دائرة السلوك والمظهر، حيث نجد أن الشخص يقوم بأداء العبادات والطقوس الدينية والمحافظة على المظهر المناسب، ولكن بدون معرفة كافية بحكمها وأحكامها وبدون عاطفة دينية تُعطي لهذه العبادات معناها الروحي، ولكن فقط يؤدي هذه العبادات كعادة اجتماعية تعوّدها. وبالتالي تَكون مجموعة هذه المظاهر الخارجية هي المُشكّلةُ للدين والمُتشَكّلة به.**

**قد يكون تحقيق الشعور بالانتماء هو الدافع لدى هؤلاء في الإلتزام بالممارسات الطقوسية خصوصا الجماعية منها، ودافعية هذه الحالة من التديّن هي ما يسميه ب.إتيان B.Etienne وج.ليكا J.Leca "الحاجة إلى الهوية المشتركة من خلال الطقس"[29].ومنه يعبّر الكثيرون عن ذلك بقولهم: "نفعل كما يفعل الناس". فلا هم يَرتقون بممارساتهم الشعائرية إلى الأهداف والغايات المرجوّة منها، ولا هُم يُدركون أحكامها ويَعرفون شروطها.**

- **التدين الإنتقائي:**

**كثيرا ما نلاحظ في الأوساط الاجتماعية ذلك الاستهلاك الديني الاختياري أو الجزئي الذي يمسّ جزءا من النظام الديني ككل. حيث يُقبل بعض الأفراد على أداء بعض الشعائر والواجبات الدينية والإمتناع على أداء البعض الآخر. وبالرغم من خلفية كل واحد من هؤلاء في الالتزام ببعض المسائل الدينية والانقطاع عن بعضها الآخر، إلا أن ما يَهمّنا هو رصد هذا المشهد الانتقائي للممارسة الدينية الذي يؤديه الكثير من الأفراد.**

**كما يختلف التديّن الانتقائي عن التديّن الموسمي في كَون عناصره المنتقاةُ مستمرة ودائمة في كل فصل أو موسم أو حالة. أيْ أنّ التديّن الانتقائي لايحتوي على فراغات زمنية دينية بحجم الفراغات التي يحتويها التّدين الموسمي.**

- ✓ **التدين المتكامل:**

**يُعدّ هذا النوع من أنواع التّدين المُعبّرة عن تغلغل الدين في دائرة المعرفة ودائرة العاطفة ودائرة السلوك. فنجد الشخص يملك معرفة دينية معينة وعاطفة دينية مماثلة، تجعله يستجيب لتعاليم دينه ويخلص له مع سلوك يوافق كل هذا. وهنا يكون الدين بكل مستوياته هو الفكرة المركزية المُحرّكة والمُوجّهة لكل نشاطات هذا الشخص (الخارجية والداخلية)، ونجد قولَه متفق مع عمله وظاهرُه متفق مع باطنه في انسجام تام. وإذا وصل الانسان لهذا المستوى من التدين المُتّزن شَعر بالأمن والطمأنينة والسكينة ووصل الى درجة من التوازن النفسي.**

**كما أنّ هذا الشكل من أشكال التديّن يُمثل الشكل "النموذجي". غير أن نمذجته غيرُ مُتأتية من حُكم قيمي يُصوّبه ويخطئ غيره أو يحسّنه ويُشين سواه، وإنما نمذجته مؤسّسةٌ كما سبق الوصف على حالة تكامله وتوازنه وانسجامه لدى جميع الأفراد، في كُل الديانات وفي شتى المجتمعات.**

## الخلاصة:

**في الأخير لابد من الوقوف للاعتراف مرة أخرى، بأنّ التعامل والبحث والتفكير في مسألة الدين بمفاهيمه المتقاربة والمتداخلة هو مجازفة علمية مليئة بالعوائق والمخاطر، ولكنها تبقى ضرورية وأساسية. وإذا كان هناك من يعتقد أن مفهوم "التديّن" إنما جاء ليُخلِّص الباحثين من هُلامية "الدين" ويساعدهم على فك طلاسمه وتحديد ملامحه، فإنّه في الواقع ينقلهم من مغامرة إلى مغامرة ويزجّ بهم ثانية في غياهب فوضى المفاهيم وانزلاقاتها.**

## الهوامش:

**1-** رشوان حسين عبد الحميد:الدين والمجتمع-دراسات في علم الاجتماع الديني-، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، **2004**، ص ص**6-7**

**2-** دراز، محمد عبد الله: الدين. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الكويت، دار القلم، ط**5**، **2006**، ص.**62**

3- كلاشير، بيار.غوشيه، مارسيل: في أصل العنف والدولة، تر: علي حرب، ط1، بيروت: دار الحداثة، 1985، ص .131

4- دراز، محمد عبد الله: المرجع السابق، ص.134

5- السواح،فراس: دين الإنسان، سورية: دار علاء الدين ط4، 2002، ص ص62-28.

6- مبروك ، أمل: فلسفة الدين، ط2، القاهرة،الدار المصرية السعودية،2009، ص22.

7- هيرفيه ليجيه، د و ويلام ،ج بول: سوسيولوجيا الدين، تر:درويش الحلوجي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص52.

8- المرجع نفسه: ص148.

9- مارسيا إلياد: المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس، ط1، دمشق، دار دمشق للطباعة، 1988، ص154.

10- إبراهيم، زكريا: كانط أو الفلسفة النقدية، القاهرة، مكتبة مصر ،1972، ص.218

11- دراز، محمد عبد الله: المرجع السابق، ص.65

12- حسن علي، مصطفى: نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، قسنطينة، مؤسسة الإسراء، 1991، ص.21

13- هيرفيه ليجيه، د و ويلام ،ج بول: المرجع السابق، ص.69

14- بيومي، محمد أحمد: علم الاجتماع الديني، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.1981، ص177.

15- فريزر،جيمس: الغصن الذهبي-دراسة في السحر والدين، تر: أحمد أبو زيد، ج1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998، ص.174

16- رشوان حسين عبد الحميد: المرجع السابق، ص.23

17- فريزر،جيمس: المرجع السابق، ص.174

18- ويليام، جان بول.الأديان في علم الاجتماع، تر: بسنة بدران، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،2001، ص177.

**19-Emil Durkheim :Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris : Ed Alcan ,1927, p.65.**

19 20- مبروك ، أمل: المرجع السابق، ص

21- فريزر،جيمس: المرجع السابق،ص.173

22- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تح":أحمد عبد الغفور عطار، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، ج5،1984، ص2119.

23- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط4، المجلد 5، دار الصادر، بيروت، 2005، ص339.

24- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ،مادة "دين"،1867، ص702. طبعة إلكترونية مُصوّرة بدون غلاف.

25- غيث، محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص.352

**26- Claude Rivière: Socio anthropologie des religions. Paris: Armand Colin/Masson,1997 , p 16**

27- ويليام، جان بول:المرجع السابق، ص ص84-85

28- أنظر: هويدي، فهمي: التدين المنقوص، بيروت: دار الشروق،1986.

**29– طوالبي، نور الدين: في إشكالية المقدس، تر: وجيه البعيني، ط1، بيروت، منشورات عويدات، 1988،ص22.**